

الاستدلال بصدق القرآن الكريم وثباته على وجود الله

Evidence of the truthfulness of the Holy Quran
And its stability on the existence of God

د. عبد المجيد محمد علي الغيلي*

¹ جامعة المدينة العالمية، (ماليزيا)

abdul.majeed.alghaili@lms.mediun.edu.my

تاريخ الإرسال: 2024/09/16 تاريخ القبول: 2025/05/29 تاريخ النشر: 2025/06/26

ملخص:

تنطلق هذه الدراسة من محاولة مختلفة في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، وذلك انطلاقاً من إثبات صدق القرآن وثبات ذلك الصدق في جميع سورته وآياته. واختار الباحث الآيات التي تتحدث عن نشأة الكون؛ لإجراء اختبار الصدق والثبات عليها، وذلك بطرح أربع فرضيات، الأولى تتعلق بالاختبار الخارجي في ضوء نتائج العلم، والثانية: اختبار احتمالية الأخذ من الكتب السابقة، والثالثة: الاختبار الداخلي بفحص الاتساق؛ وهو مؤشر على ثبات الصدق، والرابعة: اختبار التحدي، ويتمثل في البحث عن مدى إمكانية الإتيان بمثله. وب نجاح اختبار الصدق والثبات فإن النتيجة المنطقية أن القرآن ليس بكلام بشر، ولا يمكن أن يكون صدفة، فلا يوجد إلا احتمال منطقي واحد، وهو كونه كتاباً نزل من عند إله السماوات والأرض، وبهذا نصل من خلال القرآن الكريم إلى إثبات وجود الله. وقد استخدم الباحث في دراسته منهج تحليل الخطاب، والمنهج المقارن بالمرجعية الخارجية – سواء المرجعية العلمية أو الكتب المقدسة.

الكلمات المفتاحية: وجود الله؛ إعجاز القرآن الكريم؛ التناقض؛ تحليل الخطاب؛ نشأة الكون.

Abstract:

This study is based on a different attempt to prove the existence of God Almighty, based on proving the truthfulness of the Qur'an and the stability of that truthfulness in all its surahs and verses. The researcher chose the verses that talk about the origin of the universe to test their truthfulness and stability, by presenting four hypotheses: the first is related to the external test in light of scientific results, the second: the test of the possibility of taking from previous books, the third: the internal test by examining consistency; which is an indicator of the stability of truthfulness, and the fourth: the challenge test, which is represented in searching for the possible to produce something similar. With the success of the test of truthfulness and stability, the logical result is that the Qur'an is not the words of a human being, and it cannot be a coincidence, as there is only one logical possibility, which is that it is a book sent down from the God of the heavens and the earth, and thus we arrive at proving the existence of God through the Holy Qur'an. The researcher used in his study the method of discourse analysis and the comparative method with external reference - whether scientific reference or holy books.

Keywords: Existence of God; Miracle of the Holy Quran; Contradiction; Discourse Analysis; Origin of the Universe.

1. مقدمة:

درج كثير من العلماء والمفكرين على الانطلاق من دليل الحدوث، أو دليل العناية إلى إثبات وجود الله تعالى.

وكلا الدليلين يجعل المخلوقات عينة الدراسة، ومن ثم يبيّن عليها الفروض، ويصل إلى النتائج.

ولكننا نريد أن نتجه وجهة أخرى، وهي: إثبات الوجود الإلهي من خلال القرآن الكريم نفسه، ولذلك سنجعل عينة دراستنا: القرآن الكريم. لماذا؟

القرآن الكريم كتاب يحمل دعوى، وهذه الدعوى: أنه كلام الله. ولكن من حق الناس أن يَشْكُوا في كل دعوى حتى يتثبتوا منها.

ونحن ندعو إلى الشك العلمي، الشك المنهجي، الشك الذي يختبر الدعاوى ويتحقق منها تحققاً سليماً، ثم يعبر إلى النتائج. أما الشك النفسي الذي يقبع فيه بعضهم؛ فهذا ليس شكاً علمياً، بل شكاً مَرَضِيّاً: الشك لأجل الشك. ولا يمكن أن يقدم صاحبه أي إسهام علمي.

مقابل الشكوك التي ووجه به القرآن الكريم طلب إلى الناس أن يختبروا صدقه: هل هو كلام الله؟ أم ليس بكلام الله؟

قد يقول قائل: ولكنك تصادر على المطلوب؛ لأنك تفترض وجود الله سلفاً، فقد يقول هذا القائل: أنا أصلاً لا أؤمن بوجود الله؛ فكيف أؤمن بأن له كلاماً وكتاباً!!

وأجيبه: لست متجاهلاً هذا... ولكن دعونا نقوم بصياغة منطقية لاختبار صدق النص القرآني؛ لنرى من خلاله:

أولاً: هل هذه الوثيقة التي يرجع تاريخها إلى 14 قرناً – قابلة لاختبار صدقها، في دعواها أنها كلام منزل من إله يقول إنه خالق السماوات والأرض؟

وثانياً: في حال صدقها – هل يمكن أن نستدل بها على وجود الخالق نفسه؟

2. المدخل المنهجي

في هذا المدخل سنتحدث عن فرضيات الدراسة التي سنقوم باختبارها، ونتحدث عن المنهج، والعينة.

1-2 هل في القرآن آيات تقبل اختبار الصدق؟ الفرضية التي نضعها هنا:

إذا كان القرآن الكريم كتاب الله فلا بد أن يتحدث عن خلقه، وإذا تحدث عن الخلق؛ فلا بد أن فيه آيات تقبل اختبار الصدق.

في البداية لا بد أن نقرر أنه من المهم ملاحظة أن القرآن الكريم ليس كتابا في الفلك أو الكونيات، ولذلك من الجهل أن نقول: اليوم اكتشف العلماء كذا وكذا؛ فهل ذكره القرآن؟ هذا منهج فاسد ولا يبلغنا نتائج صحيحة.

الأصل أن القرآن الكريم كتاب هداية، كلام الله إلى البشرية، فهو يتضمن الهدايات التي تمكن الناس من أن يحيوا بهدي الله في الدنيا، وأن يبلغوا الجنة في الآخرة. ومن هداية الله توجيه الناس إلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته ورحمته في الخلق، فأثناء ذلك يأتي حديث القرآن الكريم عن الكون.

قد يقول قائل: النصوص ذات العلاقة بالظواهر المخلوقة في القرآن الكريم قليلة. لكن موريس بوكاي¹ يسجل دهشته من كثرة هذه النصوص، وغزارتها في موضوعات الفلك والخلق، والأرض، والحيوانات والنباتات، وتكاثر الإنسان.

وبهذا؛ فقد اشتمل القرآن الكريم على إشارات الاختبار، التي تجعله قابلا للاختبار العلمي. فالله يقول للناس: القرآن كلامي، وأنزلته هداية لكم، وفيه إشارات يمكنكم التأكد من خلالها أنه كلامي.

فنحن إذن ننظر في هذه الإشارات ونتأكد من خلالها، وهذا كاف في اختبار الصدق.

ومن ثم فعينة الدراسة هي نصوص القرآن الكريم القابلة للاختبار العلمي. والقرآن الكريم مليء بهذه النصوص التي تتجاوز الثلاثين فيه، واشتملت على مختلف المجالات العلمية:

¹ موريس بوكاي، ص 149.

نشأة الكون، وصف الكون وما فيه، خلق الإنسان، الحيوانات، النباتات، الأرض... وغير ذلك من مجالات، أسهم الإنسان فيها بإسهامات علمية كبيرة.

ونحن نكتفي بدراسة عينة واحدة منها، وهي حديث القرآن الكريم المتعلق بنشأة الكون. ومن المهم أن نبين أن لفظ "الكون" بمعناه المعاصر لم يرد في القرآن الكريم، لكن القرآن يستخدم لفظ: "خلق السماء، وخلق السماوات والأرض".

وهي من الكثرة بمكان؛ فالآيات التي تتعلق بالكون وما فيه تتجاوز ألف آية². ونكتفي في العينة بالنظر في الآيات التي تتحدث عن النشأة الأولى للكون.

وهذا التنوع في تناول الموضوعات الكونية وغيرها مما تتعلق به عامة المجالات العلمية، وتلك الكثرة من الآيات في تناول الموضوع الواحد، لتجعل من اليسير على من يختبر صدق القرآن الكريم أن يجد به زللاً أو خطأ علمياً لو كان كلام بشر.

2-2 أنواع اختبار صدق النص القرآني

سوف نستخدم أربعة أنواع من أنواع اختبار صدق النص. وهي من الاختبارات المعتمدة في تحليل الخطاب، واختبار موثوقية النص.

2-2-1 النوع الأول: الاختبار المرجعي الخارجي.

لكي أتأكد من نسبة وثيقة ما إلى شخص ما؛ فلا بد أن تكون لدي وثيقة مرجعية صادقة وصحيحة لهذا الشخص؛ حتى أتمكن من قياس بقية الوثائق إليها؛ فأنظر مدى الاتفاق والاختلاف.

ولغرض البحث العلمي، سنفترض أن لدينا وثيقة مرجعية وحيدة منسوبة إلى الله، وهي المخلوقات نفسها: الكون... كتاب الله المنظور. فنختبر أي وثيقة تدعي أنها كلمة الله في ضوء الوثيقة المرجعية.

وهذا الفرض لا يقتضي القفز على النتيجة؛ فنحن نقول: إن كان الله موجوداً، وله وثيقة مرجعية مضمونة وصادقة؛ فإنها الكون وما فيه من مخلوقات.

² انظر: د/ زغلول النجار، 1/ 26.

فالتدقيق الخارجي إذن مقارنة بين مضمون العلم في القرآن ومضمون العلم في الخلق نفسه. قال تعالى: (سَرِّهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) [سورة فصلت: 53].

وهذا عدا عن عشرات الآيات التي تأمر الناس بالسير في الأرض والنظر فيها وفي نشأتها، والنظر في السماء، واختبار ما أخبر القرآن عن مخلوقاته.

1/ والفرضية الأولى التي نضعها هنا: لو كان القرآن كلمة الله فلن يتناقض مضمونه مع خلق الله؛ لأنه يصف ما خلق.

إذن فهذا الفرض يقيس: هل هناك خطأ علمي في القرآن؟ ولا يعنى بالبحث عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم³.

2-2-2 النوع الثاني: الاختبار المرجعي مع الوثائق الأخرى المنسوبة إلى الله

الكتب السماوية السابقة ووثائق تدعي أنها كلام الله. ومن ثم فنحن نختبر صدق النص القرآني بالنظر: هل تابع هذه الوثائق أو خالفها؟ وهل هذه الوثائق أصلاً نجحت في اختبار الصدق الأول، بالقياس مع مرجعية وثيقة الخلق؟

القرآن الكريم يخبر الناس أن تلك الكتب في أصلها كلام الله، ولكن قد دخلها التحريف: (قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) [سورة البقرة: 79].

ويخبر الناس أن القرآن الكريم لم يتضمن إلا الصحيح، وليس فيه شيء من ذلك التحريف: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [سورة النمل: 76].

2/ والفرضية الثانية التي نضعها هنا: إن وجدنا أخطاء في تلك الكتب السابقة وتعارضات مع العلم، فلو كان القرآن كلام الله حقاً؛ فلن يتابعها بل سيخالفها.

³ وممن أشار إلى هذه المسألة المهمة د/ سامي عامري، في كتابه: العلم وحقائقه، ص 29؛ إذ حدد هدفه أنه في بيان إعجاز القرآن الكريم في براءته من الزلل العلمي، وليس السبق العلمي. وهذه نقطة في غاية الأهمية.

3-2-2 النوع الثالث: الاختبار الداخلي

التدقيق الداخلي: وذلك باختبار الاتساق أو الاضطراب داخل الوثيقة نفسها. يقول تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [سورة النساء: 82]. فهو يقول: اختبروا صدق القرآن – هل تجدون فيه تناقضا مع نفسه؟

وبعبارة أخرى: الاختبار الخارجي يمثل اختبار صدق النص: هل هو كلام الله أو لا؟ أما الاختبار الداخلي فيمثل اختبار ثبات النص في حال صدقه: إذا كان النص صادقا؛ فهل يثبت صدقه في كل المحتوى؟ أو لا؟

3/ والفرضية الثالثة التي نضعها هنا: لو كان القرآن كلام الله؛ فإنه سيثبت صدقه في جميع سوره وآياته.

4-2-2 النوع الرابع: إمكانية الإتيان بمثلها.

4/ الفرضية الرابعة هنا: لو كان القرآن كلام الله؛ فسيعجز البشر عن الإتيان بمثله. أما لو أمكنهم المحيي بمثله فهو كلام بشر.

والقرآن دعانا على هذا النوع من الاختبار: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [سورة البقرة: 23].

وهذا الدليل من أعقد الأدلة، ولكن لجعل بعضهم يعتقدون أنه من أسهلها، كما اعتقد مسيلمة حين نقت ضفادعه!!

والتحدي لا يقتصر على مجرد إتيان ألفاظ مشابهة، فالقرآن ليس ألفاظا، بل هو علم.

إذن نحن حتى الآن: حددنا مشكلة البحث: هل القرآن كلام الله؛ (في حال افترضنا وجود الإله). وحددنا مجتمع الدراسة (الآيات الكونية في القرآن) وعينة الدراسة (الآيات التي نتحدث عن نشأة الكون).

وحددنا أربعة فروض يمكن اختبارها.

3-2-3 ما الاستنتاجات العلمية المتوقعة؟

قد يقول بعضهم: ما علاقة الدين بالعلم؟ فالدين غيبيات والعلم يقوم على المنهج التجريبي!! ويقول آخرون: كيف نختبر صدق القرآن علميا؟

سنتجاوز الآن دعوى أن المنهج العلمي تجريبي فقط، بل المنهج التجريبي جزء له مجاله، وهناك مجالات علمية يقر بها العلماء وهي لا تستند إلى العلم التجريبي، كالرياضيات. والاستدلالات العلمية هي أنشطة عقلية لا علاقة لها بالمادة.

نتجاوز ذلك، ونسلم بأننا سنجري تحققنا وفق المنهج العلمي التجريبي نفسه.

ونوضح أن ما يخبرنا به القرآن الكريم – أو النص الديني الثابت بشكل عام- يحتوي على نوعين من النصوص (من حيث علاقتهما بالعلم التجريبي):

الأول: نصوص يمكننا اختبار مضامينها وفق المنهج العلمي، بل المنهج التجريبي.

كيف نختبرها؟

إذا تناقض النص مع حقائق العلم فهذا يقدر في النص. مثلاً:

تحدث القرآن الكريم عن مراحل تطور الجنين، ووصف كل مرحلة. ولذلك فمن الممكن اختبار ذلك بمعطيات علم الأجنة الحديث. واكتشاف الاتفاق أو التناقض.

ولكن لا يصح الاعتماد على دليل علمي مختلف فيه، أو نظرية علمية قيد التطور وقابلة للتحويل... فمرجعية العلم هنا لا بد أن تكون للصورة النهائية المتفق عليها في المجتمع العلمي، وغالباً ما تتمثل في الملاحظة العلمية الدقيقة المختبرة تجريبياً.

الثاني: نصوص يعجز العلم التجريبي عن إثباتها أو نفيها؛ لأنها خارج مجاله. كالغيبيات والمعجزات مثلاً. فهذه لا يمكن القدرح فيها بحجة العلم، أو بحجة أن العلم لم يثبتها ... فالعلم إذا حكم في غير مجاله فقد سقطت علميته تماماً.

ولهذا فنحن حين نتناول الاتساق بين العلم والخبر الديني؛ ينبغي أن نفرق بين هذين النوعين من النصوص. وحين يريد شخص أن يثبت تناقض القرآن الكريم فيلزمه اختبار النوع الأول من النصوص فقط.

وبالرغم من ذلك فالنوع الثاني من النصوص يمكنني اختباره بالاتساق مع المنطق العقلي الصحيح. ولكن الملاحظة محرومون من هذا؛ لأنهم لا يعترفون إلا بطريق معرفي واحد، وهو: المنهج التجريبي المادي، وإنكار ما عداه.

وعلى كل؛ فنحن سنتجاوز هذا الجدل الآن، ونكتفي باختبار النوع الأول من النصوص.

ومن ثم بناء على اختبار الفرضيات الأربع السابقة؛ فإننا نصل إلى الاستنتاجات التالية، فهذه الاستنتاجات هي لوازم منطقية لصدق اختبار الفروض الأربعة، وكونها لوازم منطقية؛ لأنه لا يمكننا استنتاج أي احتمالية أخرى.

ومن ثم فالاستنتاجات هي:

1/ إذا نجحت هذه النصوص في الاختبار؛ دون وجود أي اختلاف؛ فهذا يقتضي التسليم بعدم كذب بقية النصوص.

2/ إذا صدق اختبار النص القرآني وفق الفروض السابقة؛ فإنه يستحيل نسبته إلى بشر.

3/ إذا استحال نسبة القرآن إلى بشر؛ فإن التفسير المنطقي الوحيد وجود إله، وأن القرآن كلامه، وأن القرآن كاملاً صادق وصحيح بنسبة 100%.

وبهذا الدليل؛ فإننا ننطلق من اختبار القرآن الكريم إلى إثبات وجود الله سبحانه وتعالى.

4-2 ضوابط الاختبار

الضابط الأول: الاختبار للنص القرآني لا لكتب التفسير.

من المهم اتباع هذا الضابط؛ فالقرآن الكريم هو كلام الله، أما كتب التفسير فليست كلام الله، هي اجتهادات بشرية تحاول فهم كلام الله في ضوء قصور العقل البشري، وقيوده الثقافية والمعرفية والاجتماعية.. نحن نستأنس بكلام المفسرين لفهم النص، ولكننا لا نحتكم إليها.

الضابط الثاني: الاحتكام إلى اللغة العربية.

النص القرآني نزل بلسان عربي مبين؛ لذلك يجب الاحتكام إلى اللغة العربية في فهم النص، ومن المهم مراعاة أن العبرة بدلالة اللفظ هي الدلالات المستخدمة أثناء نزول القرآن الكريم، لا الدلالات الناشئة بعد ذلك.

الضابط الثالث: قراءة السياق كاملاً.

القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً، ولكنه كتاب هداية؛ فيشير إلى الحدث أو الظاهرة الكونية في سياقات مختلفة. لذلك نحن ننظر إلى القرآن الكريم كاملاً بوصفه نصاً واحداً، بعضهم يفسر بعضاً، وبعضه يكمل بعضاً.

ومن ناحية ثانية فإن تعدد السياقات يساعدنا في الاختبار الداخلي، والنظر في مدى الاتساق، وهل بعض القرآن يعارض بعضاً أو لا؟

الضابط الرابع: الاحتكام إلى العلم المتفق عليه.

فلا يصح الاحتكام إلى نظرية علمية قابلة للتغيير، بل لا بد أن يكون الاحتكام إلى ملاحظات علمية مشاهدة، أو مرصودة، ولم تعد محل جدل وخلاف في المجتمع العلمي؛ فلا يصح محاكمة القرآن إلى نتائج محل خلاف وجدل بين أهل العلم أنفسهم⁴.

5-2 المجتمع والعينة

ذكرنا سابقاً أننا لغرض البحث العلمي، فسنحدد مجتمع الدراسة بـ(الآيات الكونية في القرآن الكريم)، وعينة الدراسة (كافة الآيات التي تتحدث عن نشأة الكون).

3. الفرضية الأولى: القرآن والعلم الحديث

الفرضية الأولى: لو كان القرآن كلمة الله فلن يتناقض مضمونه مع خلق الله؛ لأنه يصف ما خلق.

نحن في هذه الفرضية نبحث عن: الخطأ العلمي في القرآن الكريم، ولا نبحث عن سبق أو إعجاز علمي. فإذا ظهر لنا ذلك الخطأ فهذا يعني أن القرآن ليس كلام الله، وإن عجزنا عن إظهار الخطأ العلمي؛ فهذا يحقق الفرضية.

والخطأ العلمي في الكتب المقدسة هو: "دعوى علمية صريحة يقدمها النص المقدس تخالف حقيقة علمية بدلالة اللفظ والسياق، دون أن يحتمل نص هذا التقرير في لغته الأصلية - بلا تعسف يّـن يخالف أصول اللغة زمن التأليف أو التنزيل - تأويلاً يتقي هذا الخطأ"⁵.

⁴ للدكتور سامي عامري نقاش جيد مع الذين يرفضون محاكمة آيات القرآن الكريم إلى العلم، بحجة أن نتائج العلم متغيرة. انظر كتابه: العلم وحقائقه، ص 65 - وما بعدها.

⁵ د/ سامي عامري، ص 54.

بالنظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن نشأة الكون، نجد أن القرآن يقرر مجموعة من الحقائق:

1/ المادة الكونية المشتركة للسموات والأرض، وانفصال الأرض عن السموات بعد ذلك: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) [الأنبياء: 30].

2/ الأصل الدخاني للخلق: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) [فصلت: 11].

3/ نمو الكون وتمدده بالتوسع والتضخم الهائل: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) [الذاريات: 47]، وقال: (رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا) [النازعات: 28].

4/ مدة الخلق استمرت 6 أيام: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) [الأعراف: 54].

5/ ترتيب الخلق: خلق المادة الكونية المشتركة [الأنبياء: 30]، ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وكواكب وشمس، ثم خلق الأرض، ثم تهيئة الأرض بمخلوقاتها من مياه وأشجار وجبال... إلخ.

ما يدل على خلق الأرض وما فيها بعد السماء قوله: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) [النازعات: 33-27].

تقريباً هذه الإشارات العلمية التي تضمنها القرآن الكريم مما يتعلق بنشأة الكون، وهي كافية لتحقيق اختبار الصديق العلمي، وإظهار التناقض لو ثمة تناقض.

1-3 تمدد الكون

كان العلماء يعتقدون أن الكون 1/ متجانس وموحد الخواص في جميع أجزائه (بحيث يبدو متماثلاً في أي اتجاه من أي مكان فيه)، 2/ وأنه في وضع ثابت ومستقر (لا يتوسع ولا يتقلص)⁶. وهذا الاعتقاد كان سائداً حتى وقت قريب، حتى إن أينشتاين نفسه (لم يكن مستعداً بعد للتخلي عن صورة الكون السرمدي الثابت، وبرغم نزعتة الثورية المعهودة لم يجد في نفسه الجراءة ليتقبل حقيقة أن الكون أخذ في التمدد أو أنه كانت له بداية).

حين جاء بنظرياته حول النسبية وجد أن النسخة الأولى من النظرية متعارضة مع هذه الفرضية، فلم يستطع تجاوزها، وكان ما يثير رعب أينشتاين (أن الكون وفقاً لافتراضه متحرك يتمدد وينكمش ولا يستقر أبداً على حال). وحاول حل الإشكالية بإضافة ثابت سماه: الثابت الكوني لمعادلاته في مجال الجاذبية؛ حتى يتوافق مع النموذج الذي يفترضه مع الكون، وهو: استقراره وثباته. وافترضه بالرغم من عدم وجود أدلة عليه، ولكن حتى يجعل نظريته تنطبق مع السائد العلمي. وأعلن ندمه لاحقاً على إدخال الثابت الكوني، واعتبره أكبر خطأ علمي اقترفه في حياته.

لكن مع مجي الفيزيائي البلجيكي (لويمتر) والعالم الروسي (فريدمان) بدأ النموذج الكوني يختلف، حيث قدما نموذجاً لكون يكون فيه في حالة تمدد، وبداية من نقطة متناهية في الصغر. ثم توسع الكون توسعاً هائلاً حتى وصل إلى حالته اليوم، ولا زال في توسع.

وتأيد هذا النموذج الكوني بملاحظات وأرصاء عديدة، بداية مع إدوين هابل عام 1929م الذي أثبت أن (سرعة تباعد المجرات عنا تتباعد تباعداً طردياً مع بعدها عنا). حتى اكتشاف إشعاع الخلفية الكونية على يد بنزياس وويلسون، وقد حصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1978م.

ورغم ذلك حاول علماء أن يتشبثوا بفكرة الكون المستقر⁷، ومن أشهرهم فريد هويل، واستهزأ بفكرة تمدد الكون ونظرية الانفجار الكبير؛ حتى إنه هو الذي أطلق الاسم

⁶ انظر: ميشيو كاكو، ص 99 – وما بعدها.

⁷ انظر: بيتر كولز، ص 61 – وما بعدها. وانظر: ميشيو كاكو، ص 104.

(the big bang) استهزاء وتهكما. وحاول إثبات نظرية الكون المستقر. ولكن الأدلة العلمية دعمت نظرية الانفجار الكبير حتى قال هوكينج عن "اكتشاف الإشعاعات الكونية": (إنها المسمار الأخير في نعش نظرية الكون الثابت المستقر).

ويقر العلماء أن اتساع الكون هو الحدث الأعظم المكتشف في العصر الحديث.

فهل أخطأ القرآن كما أخطأ أينشتاين، وهل اتبع المعتقد السائد أن الكون ثابت؟

جاء القرآن فقال بوضوح: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ). وقد جاء في تفسير الطبري⁸ قول ابن زيد أن المعنى: (الله أوسع السماء)، وتجد قوله مذكورا في عامة كتب التفسير: إنا لموسعون السماء. وقال بعضهم: (موسع ما بين السماء والأرض)⁹. ورجح ابن حيان¹⁰ وهو من أئمة اللغة والتفسير: معنى: موسعون بناء السماء.

والموسع في اللغة اسم فاعل، واسم الفاعل يدل على التجدد في الحدوث، أي: إنا لموسعون للسماء باستمرار.

فهؤلاء مفسرون قدامى اهتموا بهدي القرآن، وأخبرونا منذ ما يزيد عن 1200 سنة أن السماء تتوسع.

فاليوم هل خطأ العلم القرآن أم أيده؟

وهل توفرت لرسول الله محمد بن عبد الله آلات الرصد الفلكية الهائلة التي توفرت لعلماء العصر الحديث، حتى اكتشفوا بعد رحلة طويلة أن الكون يتمدد ويتوسع؟!

ومما يؤكد الخبر العلمي القرآني أنه يستخدم الدلالة على التوسعة باستمرار، ومن ذلك الإشارة إلى "رفع السماء"؛ فالرفع يقتضي التوسيع الهائل للمرفوع، وكذلك الحديث عن الفتق.

⁸ 546/21.

⁹ انظر: ابن الجوزي، 4/ 172.

¹⁰ أبو حيان، 560/9.

2-3 الدخان

ونختبر القضية نفسها مرة أخرى، يقول تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ). فيخبرنا القرآن بوضوح أن السماء الأولية في نشأتها كانت دخانا.

فماذا كانت تقول المعارف السائدة حينذاك؟

كانت تقول إن الكون نشأ من الماء. واتفقت على هذا التصور التراث السومري والبابلي والكنعاني والمصري القديم، ويسمونها: المياه الأولى، أو الماء الأم. وحتى فلاسفة اليونان، كطاليس كان يعتقد أن الماء أصل الأشياء كلها.

لم يتابعهم القرآن الكريم، بل قال: (ثم استوى على السماء وهي دخان). والدخان كثافة غازية تنشأ عن احتراق أو انفجار.

فماذا يقول العلم الحديث؟

(وأخيراً، في عام ١٩٦٥، اكتشف بنزياس وويلسون إشعاع الخلفية الميكروني الكوني الذي يُعدُّ دليلاً دامغاً (أو شبه دامغ، حسبما قد تراه) على أن الكون بدأ بِكُرَّة نارية بدائية؛ أي "الانفجار العظيم")¹¹. (وكان الكون الأولي على شكل غاز ساخن وكثيف ومتأين ومعمتم ومغلف بالإشعاع الحراري)¹².

وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩٨٩م أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية مركبة فضائية باسم "مكتشف الخلفية الإشعاعية للكون"، وذلك في مدار على ارتفاع ستمائة كيلومتر حول الأرض بعيداً عن تأثير كل من السحب والملوثات في النطق الدنيا من الغلاف الغازي للأرض، وقد قام هذا القمر الصناعي بإرسال ملايين الصور والمعلومات إلى الأرض عن آثار الدخان الأول الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم للكون من على بعد عشرة مليارات من السنين الضوئية، وهي حالة دخانية معتمة سادت الكون قبل خلق الأرض والسموات¹³.

¹¹ بيتر كولز، ص 15.

¹² بول ديفيز، ص 40.

¹³ د/ زغلول النجار، 419/3.

يقول بوكاي¹⁴: (التطابق بارز بين تأكيد وجود «الدخان» في الحقل البدائي للكون الذي تكلم عنه القرآن ليعبر عن حالة التسلط الغازية للمادة التي تتكون منها اذ ذاك، ومفهوم الطبقة الغازية البدائية حسبما يقوله العلم الحديث).

متى وصل العلم إلى أن الحالة الكونية الأولى تمثلت في دخان؟ بعد تقدم هائل في علوم البشرية، ورصد ملايين الصور والمعلومات، وتحليلها. فهل كان رسول الله يمتلك شيئاً من ذلك قبل 14 قرناً من الزمان؟

وحتى تسمية "الغبار الكوني" الشائعة في العلم الحديث، جاءت أصوات علمية تقول أن استخدام مصطلح "الدخان" أدق من استخدام مصطلح "الغبار الكوني"¹⁵. وها هو الطباق العلمي المتقدم الذي يصلون إليه يجدون القرآن الكريم بانتظارهم، يقول لهم: هل أنا كلام بشر!!

3-3 الرق والفتق

هل يقف الأمر عند هذا الحد؟ قد يقول قائل: ربما رمى القرآن بالكلمة صدفة، لكن لنختبر المسألة في آية أخرى. يقول تعالى: (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما). فما الرق وما الفتق؟

الرقق للشيء في اللغة يحمل ثلاث دلالات: شدة الالتئام، وشدة الامتلاء، وقابلية التشقق.

(كانتا رتقا)، أي: كانتا ملتحمتين واتسمتا بثلاث خصائص:

الأولى: شدة الالتئام بينهما، كأنهما شيء واحد،
والثانية: شدة الامتلاء، وهذا يشير إلى الكثافة الهائلة للجرم الصغير الذي حوى السماوات والأرض، فهو جرم ممتلئ بهما.
والثالثة: الحالة النسيجية لهذا الجرم. فهو شيء ملتئم ممتلئ محبوبك شديد الحبك.

¹⁴ مورييس بوكاي، ص 182.

¹⁵ موقع مرصد هيرشل الفضائي. يقول:

(It is not the same as the dust you find in your house but more like smoke with small particles varying from collections of just a few molecules to grains of 0.1 mm in size)

وترجمته: (إنه ليس مثل الغبار الذي تجده في منزلك ولكنه يشبه الدخان مع جزيئات صغيرة تتراوح من مجموعات من جزيئات قليلة إلى حبيبات بحجم 0.1 مم). <https://herscheltelescope.org.uk/science/infrared/dust>

وما الفتق؟

الفتق في اللغة: شق متدرج، يبدأ بإحداث فرجة ضيقة، تتسع شيئاً فشيئاً، حتى تصبح شديدة الاتساع.

فبداية الفتق يكون بالتشقق، وهو لا يكون إلا عن حالة الامتلاء الشديد، فيبدأ يتشقق شيئاً فشيئاً، فهو ليس فصلاً يتم مرة واحدة، بل هو انشقاق تدريجي يتم شيئاً فشيئاً. وكما ينفتق الفجر من الليل، فهو لا يظهر فجأة، بل يبدو تدريجياً، فيتسع ضوء الفجر، وتضيق الظلمة، شيئاً فشيئاً، حتى يصبح الفتق واسعاً شديداً الاتساع.

(ففتقناهما)، أي: شققنا ذلك الجرم، كما يشق النسيج، وهذا الشق بدأ بفرجة تتسع شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت شديدة الاتساع. (وإنما لموسعون). وفتقهما أشبه بنقض عرى الشيء المحبوك، بتوسيعها والتفريق بينها، وتباعدها باستمرار، كما تتباعد خيوط الثوب المشقق، بعد أن كانت شديدة التماسك والتقارب (في حالة الرتق).

والعلماء اليوم يرون أن مصطلح "الانفجار العظيم" لا يعبر بدقة عن الحالة التي نشأ منها الكون ثم التوسع الهائل السريع الذي حدث عقبه، ولكنهم كما يقول بول ديفيز ملتزمون بهما الآن¹⁶، وربما يوماً ما سيختارون مصطلح "الفتق".

4-3 مدة الخلق

يذكر القرآن الكريم أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

وحتى نفهم مدلول اليوم في القرآن الكريم فعلينا أن ندرك مفهومه من داخله، فهو يتحدث عن اليوم بمعنى الوقت (وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ) [الأنفال: 16]، ويتحدث عن اليوم بمعنى ألف سنة، ويوم بخمسين ألف سنة.

ولئن ذهب كثير من مفسري القرآن إلى أن اليوم المراد به يوم من أيام الدنيا؛ فإن هذا يدل على إعجاز القرآن؛ فقد سبقهم بالعلم.

¹⁶ بول ديفيز، ص 42.

وهناك من المفسرين القدامى من فسره بالمراحل الزمنية، كالبيضاوي (ت 685هـ)¹⁷، ورفض تفسيرها بالأيام كما فسرتها التوراة، وتبعهم بعض المفسرين؛ بحجة منطقية، وهي أن الشمس لم تخلق بعد، فكيف يقصد بها أيامها؟

ولا يمكن القول إنه تأثر في تفسيره بالعلم الحديث.

فإذن القرآن الكريم يبين أن مراحل الخلق تمت خلال ست دورات زمنية، وذلك بدءاً من خلقهما حتى جاهزية الأرض للحياة، ولسكنى الناس.

واليوم العلم الحديث يبين أن الخلق تم على مراحل زمنية عديدة، بدأت بإنشاء المادة منذ 13.7 مليار سنة تقريباً، ومرورها بمرحلة الدخان، حتى تشكل المجرات والنجوم، ثم تكون النظام الشمسي منذ أربعة مليارات ونصف من السنين، ثم الأرض، ثم إعداد الأرض وصلاحياتها للسكنى.

وهذا الحديث القرآني الواضح يرفض المقولة السائدة بأزلية الكون، فهو بين أن الكون بدأ الله خلقه، وأنه لم يتكون على مرحلة واحدة، بل مراحل عديدة، في أزمنة مديدة. ولمن يتحذلقون بأن القرآن أخذ من التوراة.. فنقول لهم لماذا لم يتابع القرآن الرواية التوراتية؟

ومن أراد الوقوف على هذه التناقضات فليرجع إلى كتاب بوكاي، فقد أظهر مجموعة عديدة من تناقضات الرواية التوراتية مع العلم¹⁸.

فالتوراة مثلاً تتحدث عن الخلق من السبت إلى الجمعة وتزعم أن الله استراح يوم السبت. ولا شك أن اليوم هنا لا يمكن تأويله بالمرحلة الزمنية. وسنعرض في الفرضية الثانية أعمال الخالق وفق الرواية التوراتية في كل يوم.

¹⁷ انظر: البيضاوي، 15/3.

¹⁸ موريس بوكاي، ص 44 وما بعدها.

3-5 ترتيب الخلق

لم يعن القرآن الكريم بتفصيل ترتيب المخلوقات، وما الذي خلقه الله في كل يوم، ولكنه بين بعض الملامح العامة، ومنها: أن الأرض بدأ خلقها وخلق ما فيها يتشكل في اليومين الأخيرين [سورة فصلت]، أي في الثلث الثالث من مدة نشأة الكون. وهذا يتفق مع تقدير العلماء اليوم لعمر الأرض بنحو 4.5 مليار سنة، وهي ثلث المدة منذ بدء خلق الكون نحو 13.7 مليار سنة.

كما أخبر القرآن الكريم أن تسوية السماء وما خلق الله فيها من نجوم وكواكب كانت قبل خلق الأرض [سورة النازعات].

فإذن لم يثبت العلم أي خطأ علمي في حديث القرآن الكريم عن نشأة الكون، بالرغم من حداثة المعرفة العلمية للبشر في هذه المسألة. وبذلك فيستحيل أن يكون القرآن كلام بشر؛ لأن المنطق يمنع ذلك؛ إذ كيف يمكن تفسير هذه المطابقة العلمية؟!

ولقد قامت اليوم شهادات علماء ينتمون إلى ميادين مختلفة، قامت بشهادة واحدة، وهي أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام بشر.

على سبيل المثال: عام 1976 قام طبيب فرنسي مسيحي "موريس بوكاي" بإصدار كتاب من أشهر الكتب المعاصرة، وهو: (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم).. وكان هدفه هو اختبار صدق هذه الكتب الثلاث المقدسة.

فماذا كانت النتيجة؟

قال بالحرف الواحد¹⁹: (قمت بجدرة شاملة للقرآن، استبان لي أنه ليس في القرآن تأكيد يمكن أن ينتقد من الوجهة العلمية في العصر الحديث). ويقول وهو يتحدث عن القرآن²⁰: (لقد أدهشتني دقة بعض تفاصيل الكتاب المندرجة في النص الأصلي بسبب توافقه مع أحدث مفاهيمنا اليوم، والتي لا يمكن للناس في عصر محمد أن يكونوا لديهم أي فكرة عنها).

¹⁹ موريس بوكاي، ص 20.

²⁰ المرجع نفسه، ص 148.

الكتب المقدسة حتى في أخطائها العلمية. والآن لنختبر صدق الكتب المقدسة. يقول: (تلك النصوص التي نجد عنها في التوراة دون نص القرآن أخطاء علمية كبيرة، تجعلني أتساءل: إذا كان كاتب القرآن بشراً؛ فكيف أمكنه في القرن السابع الميلادي كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة)²¹. ويبين أنه لا يمكن إيجاد أي تفسير بشري لكون إنسان في وسط صحراء الجزيرة العربية كان يملك ثقافة علمية سابقة على بعض الموضوعات في قرننا الحاضر بعشرات القرون.

قد يقول قائل: إن القرآن مأخوذ من الكتب المقدسة. وهذه العبارة سوف تصدق لو أن القرآن تابع

4. الفرضية الثانية: القرآن والكتب السابقة

الفرضية الثانية: إن وجدنا أخطاء في تلك الكتب السابقة وتعارضات مع العلم، فلو كان القرآن كلام الله حقاً؛ فلن يتابعها بل سيخالفها. مقدمات:

- اتهم القرآن الكريم الكتب السابقة أنها قد حرفت وبدلت، ولم تعد كأصلها الأول الذي أنزلها الله عليه، وحمل أهل الكتاب وزر تحريفها.
- ثمة مستشرقون معاصرون اتهموا القرآن الكريم أنه نقل عن المصادر اليهودية، سواء (التناخ)، أو غيرها من مصادرهم كالتلمود.
- ولاختبار اتهام المستشرقين أو غيرهم؛ لأنه يمكن ذلك بسهولة من خلال الموازنة بين اختبار الصديق العلمي للتوراة "المحرفة"، مع اختبار الصديق العلمي للقرآن الكريم.
- إذا اكتشفنا أخطاء علمية في التوراة، وكان القرآن مقتبساً منها، فبالتأكيد سنجد أنها قد تسلت إلى القرآن الكريم، وتصدق دعوى المستشرقين.
- وإن وجدنا القرآن لا يتابع التوراة أبداً في الأخطاء العلمية؛ بل إنه يتفق مع العلم الحديث في ذلك؛ فهذا يكذب فرضية المستشرقين. ويؤكد أن القرآن الكريم رباني المصدر.

²¹ المرجع نفسه، ص 149.

وبهذه المقدمات المنطقية للاختبار العلمي، نستطيع الاستغناء عن الاختبار التاريخي – بالرغم من أهميته – للبرهنة على عدم وجود أي دليل مادي يثبت تأثر القرآن الكريم بالتوراة.

دعوى بعض المدافعين عن "الكتاب المقدس" أن الكتاب المقدس ليس كتابا علميا، ولذلك نحن لا نبحث فيه عن العلوم، ولا نخضعه للاختبار العلمي، وظهور الأخطاء العلمية لا يمنع من كونه من عند الله – دعوى زائفة.

فنحن نتفق معهم أن الكتاب المقدس ليس كتابا علميا، ولا نبحث فيه عن العلوم، ولكن ذلك لا يقتضي اختبار المضامين العلمية التي فيه؛ لأنه لو كان من عند الله فلا يمكن أن يشتمل على أي خطأ، فإذا ما ظهر خطأ واحد فيه؛ فإن ذلك يطعن في نسبته إلى الله، ويطعن في الكتاب كله. فنص الكتاب المقدس لا يقبل إلا احتمالين لا ثالث لهما: إما أنه معصوم من أي خطأ؛ فيكون مصدر الله، وإما أنه غير معصوم من الخطأ؛ فيستحيل أن يكون مصدره الله.

وجود الأخطاء العلمية يدل على أن الكتاب المقدس قد تأثر بالثقافة العلمية البشرية السائدة، ومن ثم فلا يصح نسبته إلى الله. أما تعالي الكتاب المقدس على تلك الثقافة العلمية، وعدم الوقوع في أي خطأ من أخطائها – لهو دليل على استحالة بشرية الكتاب المقدس.

لذلك فالحجة المنطقية لا تقوم على جاني الإثبات بل على جانب النفي، بعبارة أخرى: ليس المطلوب إثبات إلهية النص المقدس المجيء بآيات كثيرة تدل على الإعجاز العلمي، بل المطلوب مع ذلك – وهو الأهم – إثبات أن كل حديث الكتاب المقدس عن العلم لم يقع في أي خطأ.

سأكتفي بالإحالة إلى أهم نتائج اختبار قصة الخلق في التوراة²²:

²² النتائج مأخوذة من كتاب: العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل"، وقد حققها د/ سامي عامري تحقيقا دقيقا، معتمدا على مراجع علمية ولاهوتية واسعة؛ لتقرير تلك النتائج، فيمكن الرجوع إليه، ص 111 – وما بعدها.

1/ تناقض سفر التكوين نفسه في سرد قصة الخلق؛ ففي الإصحاح الأول أن (آدم خلق في آخر أيام الخلق)، وفي الإصحاح الثاني أنه خلق أول شيء بعد خلق السماوات والأرض. ولا يمكن التوفيق بين هذين التناقضين.

2/ في سفر التكوين أن الخلق في ستة أيام (التكوين، الإصحاح الأول)، وقد تم ذلك كما يلي:

- اليوم الأول: السماوات والأرض (معهما الماء) والضوء.

- اليوم الثاني: الحاجز الفاصل بين المياه.

- اليوم الثالث: اليابسة، العشب والبقل والشجر والثمر.

- اليوم الرابع: الشمس والقمر والنجوم.

- اليوم الخامس: الطيور والسمك والكائنات البحرية.

- اليوم السادس: الحيوانات الزاحفة، والحوش، والبهائم، والإنسان.

في هذا النص نخبرنا التوراة أن الأرض خلقت قبل الشمس والنجوم والكواكب. وتخبرنا أن الأشجار على الأرض خلقت قبل الشمس والنجوم أيضا. كما نخبرنا أن النجوم خلقت في اليوم الرابع مع الشمس والقمر.

ولا يخفى أن العلم اليوم يخبرنا أن نشأة الكون تمت منذ نحو 13.7 مليار سنة²³، وأن النجوم بدأت بالتشكل باكرا، أما الشمس فلم توجد إلا في الثلث الأخير (منذ نحو 5 مليار سنة)، والأرض تشكلت بعد الشمس لا قبلها، وما على الأرض من مخلوقات إنما خلق بعد خلق الأرض.

ومن ناحية أخرى؛ فالزعم أن الأشجار خلقت قبل الشمس زعم منكر علميا؛ فالأشجار تحتاج في نموها إلى ضوء الشمس. ونكتفي بهذا التقرير لبيان التناقض بين النص التوراتي والنتائج العلمية في مسألة نشأة الخلق.

²³ انظر: ميشيو كاكو، ص 104.

يقول د/ بنيامين سميث (نصراني أمريكي): (إذا كان الكتاب المقدس يقول إن الشمس قد خلقت في اليوم الرابع بعد خلق الأرض، فإن كل أمل في التوفيق بين سفر التكوين وعلم الفلك سيضيع)²⁴.

لذلك لا عجب حين يقول موريس بوكاي²⁵: (قمت بالتدقيق ذاته للعهد القديم والأنجيل بالموضوعية نفسها، فلم أجد حاجة أكثر من الانتقال إلى أبعد من سفر التكوين للوقوف على تأكيدات مناقضة لمعطيات العلم المعترف بها في هذا العصر).

مما سبق يتبين استحالة كون الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل المحرفة) من عند الله؛ وقد ذهب كثير من العلماء المعاصرين إلى تأثره بالثقافات البابلية والسومرية وغيرها من ثقافات الأمم حين كتب البشر هذا الكتاب²⁶.

5. الفرضية الثالثة: اختبار السياق الداخلي في القرآن

الفرضية الثالثة: لو كان القرآن كلام الله؛ فإنه سيثبت صدقه في جميع سوره وآياته.

1-5 بناء السماء

يخبرنا القرآن الكريم أن الله بنى السماء. فهو يستخدم مصطلح "بناء"، مثلاً: (أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا) [النازعات: 27]، (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) [الذاريات: 47]... إلخ. فننظر مدى اتساق القرآن الكريم في الحديث عن "كون السماء بناء".

نجد أن القرآن الكريم يمتلئ بعشرات بل مئات الآيات التي تتحدث عن السماء، فلم يرد فيه إطلاقاً أن السماء فراغ، أو فضاء، بل يتحدث عن بناء، وتسوية هذا البناء، ورفع سقفه، وتركيبه، وتشغيله، وتزيينه، وهل يحتاج إلى صيانة أو لا،.... إلخ. بل إن القرآن ينفي وجود أي فراغ فيقول: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) [سورة ق: 6].

²⁴ نقلا عن: د/ سامي عامري، ص 124.

²⁵ موريس بوكاي، ص 20.

²⁶ انظر: الموسوعة اليهودية، في مقالها عن: الكوسموجونيا. (نقلا عن: العلم وحقائقه، ص 114)، وانظر كثيراً من أوجه التشابه بين الأساطير القديمة ورواية التوراة في: العلم وحقائقه.

إن اعتقاد أن السماء فراغ لا زال سائدا عند بعضهم .. والعلماء أنفسهم اعتقدوا لوقت طويل أن السماء فضاء، واعتقدوا أن الثقوب السوداء فراغات هائلة.

وكان²⁷ أينشتاين قد أقام نظريته النسبية العامة على أن السماء مبنية لا فراغ، وأن الزمكان نسيج حقيقي تتحدب عليه الأجرام في السماء، ومن هنا جاءت تسمية الكون (الكون المنحني)²⁸. يقول أينشتاين في ورقة نشرها عام 1916م في مجلة حوليات الفيزياء:

"السماء ليست مجرد فضاء، ليست مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو بنية أساسية تتأثر بالطاقة والكتلة".

وفي عام 2016م تم اكتشاف موجات الجاذبية في نسيج الزمكان، وهو اكتشاف أعلن عنه مشروع ليجو، وفاز بجائزة نوبل 2017م²⁹.

اليوم عاد العلماء ليستخدموا مصطلح: البناء الكوني، والجسور الكونية ... إلخ. ويؤكدون أنه لا يوجد فراغ ولا فضاء في الكون، ويتحدثون عن الهندسة الفائقة لبنيان السماء، والترابط المحكم بينها، ويقولون إن المادة فيه المرئية 4-5% أما غير المرئية من مادة وطاقة فتصل إلى 96% تقريبا، ويسمونها: المادة المظلمة، وهي غير مرئية (ولعلها التي أقسم الله بها: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ} [الحاقة: 38-39]). ويقول العلماء: إن المادة غير المرئية تشكل نسيجا كونيا (cosmic web)، تمثل الجسور الرابطة بين أجزاء الكون. وأحدث الكتب والأبحاث العلمية اليوم تتحدث عن النسيج الكوني.

وفي بحث لبول ميلر ومجموعة من العلماء، نشر في المرصد الأوروبي للأبحاث الفلكية يصرح الباحثون أنهم يفضلون استخدام كلمة (البنية بناء من المجرات) بدلا من كلمة (المجرات)، يقول:

²⁷ انظر: ميشيو كاكو، ص 69 – وما بعدها.

²⁸ انظر: بول ديفيز، ص 54.

²⁹ انظر: موقع الجزيرة:

<https://www.aljazeera.net/tech/2017/10/3/%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D8%A9-%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%8A%D9%81%D9%88%D8%B2%D9%88%D9%86-%D8%A8%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%B2%D8%A9-%D9%86%D9%88%D8%A8%D9%84-%D9%81%D9%8A>

(إن المجرات الأولى - أو بالأحرى لبنات البناء الأولى من المجرات - سوف تتشكل في خيوط النسيج، وعندما تبدأ ببث الضوء سوف تُرى، وهي تحدد مختلف الخيوط غير المرئية، وتشبه إلى حد كبير الخرز على العَقد³⁰). وتأمل أيضا تشبيه المجرات بالخرز أو اللآلئ على العقد... يصفونها بالزينة، كما وصفها القرآن.

فهل كان لرسول الله منذ 14 قرنا من الزمان كل هذه الأجهزة الدقيقة والحواسيب الضخمة والآلات الذكية التي تمكن الإنسان اليوم بها من اكتشاف هذه الحقيقة، بل وتصحيح ما كانوا يعتقدونه من وجود الفراغ السماوي، في حين أن القرآن سجلها في مئات الآيات، بل ونفى وجود الفراغ السماوي؟!

2-5 السماء ذات الحُبك

وحتى نستمر في نفس القضية، وننظر مدى دقة القرآن في استخدام الألفاظ والتعبير عن الحقائق.

في نفس السورة - سورة الذاريات التي تحدث عن إيساع الله المستمر للسماء، أخبرتنا (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) [الذاريات: 7].

فما الحُبك في اللغة؟ هي الخطوط الممتدة المتناسجة المحكمة. فالله يخبرنا أن السماء ذات بنية نسيجية. والنسيج عادة يقبل التشقق والتوسع، والعلماء اليوم يؤكدون حقيقة التوسع الكوني وأن هذا التوسع يشبه ما لو لديك بالون ورسمت فيه نقاطا كثيرة، ثم قمت بنفخ البالون.. فستجد أن النقاط تتسع وتتباعد مواقعها عن بعضها باستمرار؛ نظرا لتوسع البالون نفسه³¹.

فخطوط السماء النسيجية تتسع، وكل خط منها مترابط مع كافة الخطوط الأخرى، كترابط النسيج، ولكل نجم أو مجرة أو كوكب موقع خاص به في هذا البناء النسيجي، ولذلك أقسم الله بذلك (فلا أقسم بمواقع النجوم).

³⁰ انظر: <https://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-01-0003&value=&type=>

والمقالة في موقع المرصد الأوروبي للأبحاث الفلكية: <https://www.eso.org/public/news/eso0120/?lang=>

³¹ انظر: ميشيو كاكو، 103، وبول ديفيز، ص 44.

وقوله (ذات الحُبك): يرسم مشهداً مهيباً للتجمعات المجرية والمواقع النجمية التي في السماء، والتي تمثل مستويات متنوعة من التجمعات. فكل تجمع مجري يمثل حبيكة بالنسبة للسماء، ثم إن كل تجمع مجري به حُبك كثيرة، وكل مجرة كذلك، وكل مجموعة كذلك...

وما الذي يقوله العلم اليوم عن السماء³²؟

- أنها شاسعة الاتساع عظيمة البناء، متقنة الخلق والصناعة.

- أنها ذات ترابط محكم شديد في كل جزئية من جزئياتها.

- أنها ذات كثافات متباينة في مختلف أجزائها.

- أنها ذات مدارات محددة لكل جرم من أجرامها، على الرغم من تعاضد أعدادها

واستمراية توسعها.

فخلاصة دلالة قوله (ذات الحُبك): أن بنية البناء السماوي عبارة عن خطوط طويلة متينة (طرائق) ممتدة عبر صفحة السماء، متداخلة بعضها ببعض، قد نسجت بإحكام وإتقان، وتربط بينها روابط قوية شديدة. وعُقد التقاء تلك الحُبك هي مواقع نجمية، وتجمعات مجرية، تتوزع في مستويات متعددة، كل مستوى له نظام نسيجي متميز.

وتأمل حين يقسم القرآن فيقول: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ، إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ)، فقابل بين الأمرين: السماء المحكمة شديدة الإحكام، المتقنة شديدة الإتقان، بالرغم من طرائقها الطويلة الهائلة، والبشر الذين اختلفوا في القرآن الكريم، بين مكذب ومصدق. والاختلاف ضعف وهلهلة، وكان الأولى بهم أن يتفقوا في تصديقه والإيمان به³³.

هل تجد القرآن يختلف بعضه عن بعض؟ أو أنك تجد بعضه يشد بعضاً، ويتسق وينسجم بدون أي اختلاف أو تعارض... فلو أنه كلام محمد، فقد يصيب مرة ويخطئ آخر. ولكن حين يصيب باستمرار، ولا يقع منه الخطأ أبداً. فعلام يدل على ذلك إذن؟

³² انظر: د/ زغلول النجار، 379/3.

³³ راجع: السماء والسموات في القرآن الكريم.

3-5 جريان الشمس

ونختبر القضية أيضا، في قوله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [يس: 38-40].

يكفيك أن تعلم أن الاعتقاد العلمي السائد أن الشمس تدور حول الأرض، ولكنها ثابتة في مدارها. ولما جاء كوبرنيكس في القرن السادس عشر قال: الأرض تدور حول الشمس، وكذلك الكواكب.

في القرن العشرين توصل العلم إلى أن الشمس ليست ثابتة وليست مركز الكون، بل لها أكثر من حركة.

فهي مع المجموعة الشمسية تجري حول مركز المجرة. ومجرة درب التبانة تحتوي ما يزيد عن 100 مليار نجم، وتبعد الشمس عن مركز المجرة مليارات الكيلو مترات، وتجري حولها بسرعة 720 ألف كم/ ساعة. وتستغرق نحو 230 مليون سنة لتكمل دورة كاملة. أي أنها دارت منذ نشأتها نحو 18 دورة فقط.

في موقع ناسا³⁴:

(تدور الشمس حول محورها أثناء دورانها حول المجرة. ويميل دورانها بمقدار 7.25 درجة بالنسبة لمستوى مدارات الكواكب). فالشمس أثناء حركتها تتذبذب صعودا ونزولا.

³⁴ انظر: <https://science.nasa.gov/sun/facts>

في موقع الفضاء الدولي³⁵:

(بالنسبة لمحور دورانها، تتحرك الشمس عبر المجرة بزاوية 60 درجة تقريباً من المستوى المجري. وينطبق هذا أيضاً على الكواكب التي تدور حول الشمس).

ولعل من الجدير بالملاحظة أيضاً أن الشمس لا تبدو وكأنها ترسم دائرة مسطحة. في مستوى واحد فقط. أثناء تحركها حول المجرة. بل تبدو الشمس في الواقع وكأنها تتأرجح صعوداً وهبوطاً عبر القرص (نحن الآن في الأعلى، فوق مستوى القرص) أثناء تحركها، في فترة زمنية تبلغ نحو 60 مليون سنة).

أليس وصف الجري أدق تعبير عن هذه الحركة الصعودية والهبوطية مع التقدم في الحركة، وكذلك مصطلح السباحة الذي يدل على التأرجح؟ ولذلك وصف القرآن حركة السفن في البحر بالجري (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره).

ويستخدم العلماء اليوم مصطلح الجريان: جريان النجوم، جريان الشمس. ويتحدثون عن أن المسارات الكونية كشبكات الطرق، والمجرات تتدفق خلالها، كأنما تسبح!! في موقع ناسا بالحرف الواحد³⁶: (يمكن رؤية تأثيرات الجاذبية الصغرى عندما تسبح رواد الفضاء والأشياء في الفضاء) [float in space]. فاستخدم مصطلح الطفو مع رواد الفضاء والأشياء التي فيه!! وقاموا بعرض صور للأشياء التي تلقى في المركبة الفضائية وكأنها تسبح في الهواء!!

انظر³⁵:

<https://www.astronomy.com/science/in-which-direction-does-the-sun-move-through-the-milky-way/>

وفي موقع

<https://public.nrao.edu/ask/what-causes-the-suns-periodic-vertical-oscillation-through-the-plane-of-the-galaxy/>

يقول: (الحركة المدارية للشمس حول المجرة دائرية تقريباً، بفترة مدارية تبلغ حوالي 225 مليون سنة. وقد فرضت عليها هذه الحركة الدائرية تذبذباً رأسياً دورياً ذهاباً وإياباً عبر مستوى المجرة بفترة تبلغ حوالي 26 مليون سنة. وعندما تقع الشمس فوق مستوى المجرة، فإن كتلة النجوم والغاز والغبار داخل المجرة تمارس قوة لأسفل، فتسحب الشمس إلى أسفل باتجاه المستوى. وينتج عن هذا تسارع الشمس والنظام الشمسي إلى أسفل حتى تمر عبر المستوى المجري وتخرج من الجانب الآخر. وبمجرد أن تكون الشمس أسفل مستوى المجرة، يشعر النظام الآن بنفس القوة المستعادة التي تسحبه إلى الأعلى، مما يتسبب في إبطاء حركته الرأسية، ثم توقفها، ثم عكس اتجاهها. والنتيجة هي أن حركة الشمس حول مركز المجرة تتكون من حركتين، حيث تتأرجح الشمس لأعلى ولأسفل أثناء تحركها حول مركز مجرتنا).

انظر³⁶: <https://www.nasa.gov/learning-resources/for-kids-and-students/what-is-microgravity-grades-5-8>

وفي كون آينشتاين³⁷ يقول عن الأرض أنها ليست سوى (كرة تسبح في الفضاء)، وأن تشكيلات النجوم (مجموعة من الجسيمات تسبح في الفضاء).

فمن أخبر رسول الله أن الأشياء التي في السماء تسبح سباحة؟!

ومن ناحية ثانية فالجريان يدل على ثلاثة أمور:

الأول: التوسع المستمر... فلو رأيت دائرة في بالون يتم نفخه بسرعة كبيرة وبحجم كبيرة، فسوف تبدو لك تلك الدائرة وكأنها تجري.

والأمر الثاني: أن الجريان يحدث في مادة، لا يحدث في فراغ. وهذا يؤكد اتساق القرآن الكريم في بيانه أن السماء بناء، ولا يوجد بها فراغات. ويؤكد هذا قوله: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)، فالسباحة لا تكون في فراغ، بل في وسط مادي، وهو وسط يموج بالمادة والطاقة.

بل إن الآية جاءت مخالفة للمعتقد السائد أن الشمس تدور حول الأرض في مكانها.. فالقرآن يخبر أن الشمس ليست ثابتة في مكانها بل هي دائمة الجريان... وهذا ما أخبرنا به العلم اليوم أن الشمس تتحرك حول مركز مجرة درب التبانة بسرعة 240 كم/ثانية³⁸.

والأمر الثالث: السرعة: فالذي يجري أسرع من الذي يسير... وهو ما ينطبق على حركة الشمس.

4-5 رفع السماء بغير عمد مرئية

ونختبر القضية نفسها مرة أخرى، فيقول القرآن (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) [الرعد: 2].

فالبناء من لوازمه أن يقوم على أعمدة، والقرآن الكريم يستفز المخاطبين بالنظر في السماء: هل يرونها تقوم على أعمدة؟ فيخبرنا أنه رفع السماء بغير عمد يراها الناس، وهنا يأتي السؤال المنطقي: علام إذن رفعت السماء؟ ما الذي يحافظ على تماسك هذا البناء؟

³⁷ ص 103، ص 106.

³⁸ انظر: موقع ناسا بالعربي، قياس سرعة ومسافة المدار الشمسي حول مركز المجرة:

<https://nasainarabic.net/main/articles/view/distance-speed-suns-orbit-around-galactic-centre-measured>

إنها أنظمة وقوانين وسنن لا يراها الناس، ولذلك وصفها القرآن بأنها غير مرئية. هذه القوانين والأنظمة هي التي تحافظ على تماسك السماوات، وعدم تصادم الأجرام والمجرات والكواكب.

فماذا قال العلم الحديث؟

يخبرنا العلم عن القوانين التي تحافظ على عدم تكدس الكون، وكذلك عدم تمزقه وهو يتمدد. ومنها: القوى الأربع³⁹: الجاذبية، والكهرومغناطيسية، والقوة النووية القوية والضعيفة.

6. الفرضية الرابعة: هل عجز البشر عن الإتيان بمثله؟

الفرضية الرابعة: لو كان القرآن كلام الله؛ فسيعجز البشر عن الإتيان بمثله. أما لو أمكنهم المجيء بمثله فهو كلام بشر.

كيف نختبر هذه الفرضية؟

يعتقد بعضهم أن إعجاز القرآن الكريم في الإتيان بألفاظ كألفاظه، وهذا وهم.. فألفاظ القرآن هي ألفاظ مشتقة من لغة العرب؛ فمجرد اختيار لفظ (الأرض، السماء، الشمس...) ليس فيه أي إعجاز للبشر.

لا شك أن نظم القرآن الكريم يختلف عن نظم أي كلام آخر، وثمة جدل هنا قوي يدعم التحدي بالنظم، وهو حديث النبي ﷺ نفسه، فتحليل النصين: القرآني والنبوي، يظهر استحالة أن يكون النصان لمؤلف واحد، فالنص له بصمة تأليفية، والبصمة التأليفية في الحديث تختلف تماما عن القرآن الكريم، في الأسلوب والمضمون، وطريقة المعالجة. وثمة دراسة حديثة قامت بالمقارنة الأسلوبية بين النصين في موضوعات ومجالات عديدة، وبينت النتائج التي تقطع بامتناع خروج النصين من مؤلف واحد⁴⁰.

ومع عجز العرب منذ نزول القرآن الكريم عن معارضته ببيانها، وهم أهل الفصاحة والبيان، فإن العجز في حق من بعدهم أوضح وأظهر. ولكن هل يقال: إن هذا التحدي قد توقف؟

³⁹ فرانك كلوس، ص 87.

⁴⁰ انظر في ذلك: القرآن والحديث مقارنة أسلوبية، د. إبراهيم عوض.

الجواب: لا. لأننا نذهب إلى نقطة هي الأهم في التحدي بإتيان مثل القرآن الكريم، وهو: التحدي بما في القرآن الكريم من علم وأخبار يستحيل وقوعها في الخطأ.

وحتى لا نطيل في المقدمات، فإن عجز الناس عن الإتيان بمثل القرآن يمكن اختباره من خلال: كتب التفسير.

المفسرون حاولوا فهم القرآن الكريم – ولا سيما فيما يتعلق بالإشارات العلمية – من خلال الثقافة العلمية السائدة، ومن ثم فسروا بعض مضامينه العلمية تأثراً بثقافتهم، أو بخبر التوراة المحرفة. وفي هذا دليل على أن البشر عجزوا عن إدراك السبق العلمي للقرآن، فضلاً عن قدرتهم على أن يأتوا بكلام يخلو من أي خطأ علمي.

لك أن ترجع إلى تفسير الطبري، أو غيره من التفاسير، وتجد أن المفسرين في تفسير الآيات التي تتحدث عن نشأة الكون، يأخذون ثلاثة اتجاهات:

الأول: التفسير العلمي وفق معارفهم العلمية، كما في تفسير "الأيام الستة" وفق الرواية التوراتية.

الثاني: التأويل الدلالي للفظ القرآني؛ كما في تأويل لفظ (وإنّا لموسعون)، أي: موسعون في الأرزاق.

الثالث: التفسير الحرفي للفظ القرآني، كتفسير زيد بن أسلم للآية (وإنّا لموسعون)، أي: "موسعون ببناء السماء"، فهو التزام بظاهر دلالة الآية، دون إدراكه لواقع الأمر. في حين خالفه جمهور المفسرين؛ لأنهم لم يتصوروا التوسع في بناء السماء.. بالرغم من أنهم لو نظروا في سياق آيات السماء لتوصلوا إلى هذه الحقيقة.

وفيما يلي نموذج من تفسير المفسرين:

النموذج الأول: (وهي دخان):

المفسرون على أن الدخان خرج من الماء، وقيل: بل هو نار، ويلخص ابن الجوزي أقوال المفسرين فيقول⁴¹: ("وَهِيَ دُخَانٌ" وفيه قولان: أحدهما: أنه لما خلق الماء أرسل عليه الريح فثار منه دخان فارتفع وسما، فسماه سماءً. والثاني: أنه لما خلق الأرض أرسل عليها ناراً،

⁴¹ ابن الجوزي، 47/4. وانظر: الزمخشري، 189/4، وابن عطية، 7/5.

فارتفع منها دخان فسما). وقال البيضاوي⁴²: ("وَهِيَ دُخَانٌ" أمر ظلماني، ولعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التي ركبت منها). وقال الخازن⁴³: (ذلك الدخان كان بخار الماء).

وقال أبو حيان⁴⁴: (والظاهر أن المادة التي خلقت منها السماء كانت دخانا)، ثم نقل عن التوراة: (إن عرشه تعالى كان على الماء قبل خلق السموات والأرض، فأحدث الله في ذلك سخونة، فارتفع زبد ودخان، أما الزبد فبقي على وجه الماء، فخلق الله منه اليبوسة وأحدث منه الأرض وأما الدخان فارتفع وعاد فخلق الله منه السموات. وفيه أيضا أنه خلق السماء من أجزاء مظلمة). ثم قال: (وروي أنها كانت جسما رخوا كالدخان أو البخار).

النموذج الثاني: (سنة أيام):

قال الطبري⁴⁵: ("في ستة أيام"، وذلك يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة)، وهو متأثر بالإسرائيليات، ثم نقل عن مجاهد: (ويوم من الستة الأيام كآلف سنة مما تعدّون). وثمة قول آخر ظهر وهو أن المراد باليوم: مقدار اليوم، قال ابن الجوزي⁴⁶: (ومعنى قوله: فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حينئذ).

فهذه النماذج كافية لبيان أن البشر ليس بمقدورهم الإتيان بمثل هذا القرآن؛ لأن مبلغ أمرهم أن يقولوا ما يعلموه، وما يعلمه الناس سيكون متأثرا بثقافتهم وعلومهم، في حين أن القرآن الكريم يتحدث عن علم يقين، لا يعلمه الناس، بعضه سيعلمونه في الدنيا، وبعضه لن يعلموه إلا في الآخرة.

وهنا من المهم تسجيل نقطة في غاية الأهمية، وهي: أن القرآن الكريم كتاب هداية، جاء للناس منذ 14 قرنا، ومعارفهم العلمية متواضعة، ولكن ثمة من سيرفض القرآن الكريم محاكمة إلى العلم، لو أن القرآن جاء وأخبرهم بألفاظ صريحة عما يخالف كل ثقافتهم العلمية.

⁴² البيضاوي، 68/5.

⁴³ الخازن، 83/4.

⁴⁴ أبو حيان، 288/9.

⁴⁵ الطبري، 482/12.

⁴⁶ 127/2.

وهنا حقق القرآن الكريم إعجازا آخر، وهو: استخدام ألفاظ عربية ذات دلالة تأويلية، وحين يصل البشرية إلى الحقيقة العلمية يكونون جاهزين لفهم الآية وتنزيلها على الواقع.

ومن ناحية ثانية؛ فإن القرآن الكريم يوزع الإشارات العلمية في آيات وسياقات عديدة، وهذا يساعد الناظر على الوصول إلى المراد من خلال تلك السياقات، دون الوقوع في التناقض، كما رأيت في اختبار الفرضية الثالثة.

فحين يكون البشر جاهزين لتقبل الإشارة العلمية؛ فإن تأويل اللفظ بدلالته العربية وقت نزول القرآن الكريم، يكون واضحا لهم كل الوضوح، كما قال تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) [ص: 86-87]، وقال: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) [يونس: 39].

وفي قوله: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)، استخدام الفعل المضارع القابل للتجدد "سنريهم"، مع السين الدالة على المستقبل، إشارة واضحة إلى أن الإعجاز سيستمر، حتى تقوم الساعة، فكلما بلغت البشرية طبقا من العلم وجدوا القرآن الكريم ينتظرهم ويخبرهم أنه قد وصل قبلهم...

فالخلاصة إذن أن تحدي البشر عن الإتيان بمثل القرآن يمكن اختباره بالعودة إلى أي كتاب من الكتب – سواء التفاسير أو غيرها من الكتب العلمية – التي ألفت حتى نهاية القرن العشرين. ويتحقق الاختبار بالنظر فيها: هل خلت من أي خطأ علمي؟

كما تحدثنا سابقا كيف أن العلماء يصححون نتائجهم باستمرار؛ نتيجة لأخطائهم العلمية. وكيف أن المفسرين لم يستطيعوا تقديم تفسير علمي لهذه الآيات إلا بالتأثر بالثقافة العلمية السائدة. وفي هذا دليل على صدق التحدي.

7. تحليل نتائج الدراسة

ذكرنا في مقدمة الدراسة أن النتائج المنطقية للفروض في حال صدقها هي:

1/ إذا نجحت هذه النصوص في الاختبار؛ دون وجود أي اختلاف؛ فهذا يقتضي التسليم بعدم كذب بقية النصوص.

2/ إذا صدق اختبار النص القرآني وفق الفروض السابقة؛ فإنه يستحيل نسبته إلى بشر.

3/ إذا استحالت نسبة القرآن إلى بشر؛ فإن التفسير المنطقي الوحيد وجود إله، وأن القرآن كلامه، وأن القرآن كاملاً صادق وصحيح بنسبة 100%.

هذه النتائج هي استنتاجات منطقية للفروض السابقة؛ فإذا لم يثبت على النص أي خطأ – بالرغم من تناوله للحقائق العلمية التي لم يكتشفها الناس إلا حديثاً؛ فإن هذا دليل على أن بقية النص يخلو من الكذب، أو على الأقل: لا يمكننا أبداً القول بوجود كذب فيه، بل المنطق أنه يحمل على الصدق. بخلاف ما لو وجدنا خطأ واحداً فيه؛ فإن نسبة النص إلى الخالق تسقط، ومن ثم تكون احتمالية الكذب فيه كبيرة.

والنتيجة الثانية: استحالة نسبة النص إلى بشر، وهي نتيجة منطقية؛ فلا يمكن القول بالتفسير البشري للقرآن الكريم، مع خلوه من أي أخطاء علمية، بالرغم من كثرة الأخطاء الموجودة في ثقافة الناس وعلومهم، وادعاء بشرية القرآن الكريم هو بمنزلة القول: إن محمداً (ﷺ) قد سبق العلم الحديث في معارفه العلمية، وامتلك من أجهزة الرصد والتحليل والحواسيب ما لم تمتلكه البشرية اليوم بعد تقدم العلم والصناعة والتقنية في مختلف المجالات. ولكن هذا مخالف للخبر التاريخي والواقعي، وحتى إن البشرية لا زالت إلى وقت قريب تحمل الأخطاء العلمية في تلك المسائل (كما رأينا خطأ أينشتاين في القول بثبات الكون، وخطأ العلماء في القول بوجود فضاء في السماء...).

ومن ناحية أخرى؛ فلو كان القرآن بشرياً؛ لوقع في الأخطاء العلمية التي وقعت فيها التوراة والإنجيل، وغيرهما من الكتب المقدسة لدى الأمم الأخرى.

والنتيجة الثالثة هي نتيجة منطقية لما سبق، وهي: أن التفسير المنطقي الوحيد يتمثل في: "وجود إله هو الذي تكلم بهذا القرآن"؛ لأن الصدفة يستحيل كل الاستحالة أن تنتج مثل هذا الكلام الخالي من أي خطأ علمي، ولأن البشر يستحيل أن يقولوا مثل هذا الكلام، فلا يبقى إلا افتراض واحد وهو: هناك إله هو الذي تكلم بهذا القرآن الكريم.

وينتج عن ذلك أيضاً: الجزم يقيناً بصحة كل ما في القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يمكن اليوم نسبته إلى الله تعالى، وأن دينه الحق هو دين الإسلام: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [آل عمران: 19].

وهذه ليست حجة دائرية؛ لاختلاف جهة الاستدلال؛ فنحن استدللنا بصدق القرآن - في خلوه من الأخطاء العلمية - على وجود الله تعالى، وهي النتيجة المنطقية التي توصل إليها البحث. ولكن النتيجة السابقة لا تثبت صدق القرآن كله، بل صدق الآيات التي يمكن للبشر اختبارها.

ثم إن النتيجة وهي (وجود إله هو الذي تكلم بهذا القرآن) يلزم منها صدق القرآن الكريم كله، وصدق كل ما تضمنه من حقائق، ومن تلك الحقائق أنه لا يوجد كتاب سواه يمكن نسبته إلى الله؛ فكل الكتب الأخرى محرفة، ومنها: أن محمداً خاتم رسل الله، وأن الدين الذي ارتضاه الله للناس الإسلام.

8. خاتمة

انطلق البحث من إثبات صدق القرآن الكريم إلى إثبات وجود الله سبحانه وتعالى. ولإثبات صدق القرآن الكريم فإنه يمكن التحقق من ذلك باختبار الآيات القابلة للاختبار علمياً، وهي الآيات التي تتحدث عن حقائق علمية. ووضع البحث أربع فرضيات لاختبارها، وهي:

1/ لو كان القرآن كلمة الله فلن يتناقض مضمونه مع خلق الله؛ لأنه يصف ما خلق.

2/ إن وجدنا أخطاء في تلك الكتب السابقة وتعارضات مع العلم، فلو كان القرآن كلام الله حقاً؛ فلن يتابعها بل سيخالفها.

3/ لو كان القرآن كلام الله؛ فإنه سيثبت صدقه في جميع سورته وآياته.

4/ لو كان القرآن كلام الله؛ فسيعجز البشر عن الإتيان بمثله. أما لو أمكنهم المجيء بمثله فهو كلام بشر.

وباختبار هذه الفرضيات الأربع تبين عدم وجود أي خطأ علمي في القرآن الكريم، بالرغم من وجود أخطاء علمية في الكتب السابقة، كما تبين ثبات صدق القرآن في جميع السور والآيات، وعجز البشر عن الإتيان بمثله.

والنتيجة المنطقية هي استحالة نسبة القرآن إلى بشر، ويبقى التفسير المنطقي الوحيد وهو نسبته إلى إله، وهذا يثبت وجود إله قطعاً.

والتوصية التي نضعها هنا: دعوة الباحثين إلى إجراء اختبار الصدق والثبات للقرآن الكريم في مختلف الموضوعات والمجالات العلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420 هـ.
- ابن عطية، تفسير ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ.
- د/ زغلول النجار، تفسير الآيات الكونية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007 م.
- البيضاوي، تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ.
- الطبري، تفسير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 2001 م.
- الزمخشري، تفسير الكشاف، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407 هـ.
- موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1990 م.
- بول ديفيز، الجائزة الكونية الكبرى، ترجمة: د/ سعد الدين خرفان، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011 م.
- ابن الجوزي، زاد المسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، 1422 هـ.
- د/ عبد المجيد الغيلي، السماء والسموات في القرآن الكريم، موقع رحي الحرف، 2014 م.
- بيتر كولز، علم الكونيات، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداي، 2014 م. (صدور الكتاب الأصلي عام 2001 م).
- د/ سامي عامري، العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، الكويت: رواسخ، ط2، 2020 م.
- فرانك كلوس، فيزياء الجسيمات، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداي، 2014 م. (صدور الكتاب الأصلي عام 2004 م).
- د. إبراهيم عوض، القرآن والحديث مقارنة أسلوبيّة، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2000 م.
- ميشيو كاكو، كون أينشتاين، ترجمة: شهاب ياسين، مؤسسة هنداي، 2011 م. (صدور الكتاب الأصلي عام 2004 م).
- علاء الدين الخازن، لباب التأويل (تفسير الخازن)، تحقيق: محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
- موقع ناسا بالعربي، قياس سرعة ومسافة المدار الشمسي حول مركز المجرة:
- <https://nasainarabic.net/main/articles/view/distance-speed-suns-orbit-around-galactic-centre-measured>
- Eso: <https://www.eso.org/public/news/eso0120/?lang>
- Nasa: <https://science.nasa.gov/sun/facts/>
- Astronomy: <https://www.astronomy.com/science/in-which-direction-does-the-sun-move-through-the-milky-way/>
- Herschel telescope: <https://herscheltelescope.org.uk/science/infrared/dust/>